

الرحلة داخل الذات.. "سفر بلا تذكرة" شريفه المالكي



هناك رحلات تُخطط لها خرائط، وتُحجز لها تذاكر، وتُعد لها الحقايب بعناية... غير أن أعظم الرحلات لا تحتاج إلى كل هذا. إنها تبدأ من لحظة صمت، من التفاتة صغيرة إلى الداخل، حين يقرر القلب أن ينفذ غبار الانشغال ويصغي إلى نداء خفي ينبض من الداخل. إنها الرحلة إلى الذات... سفر بلا تذكرة، وبلا موعد عودة.

نحن نُرهق أعمارنا ونحن نركض خارج أنفسنا، نبحث عن نجاح في أعين الآخرين، عن قبول في قلوبهم، عن معنى في ما يصفق له الناس. لكننا ننسى أن الداخل هو الوطن الأول، وأن هناك حياة كاملة تسكننا تنتظر أن نكتشفها. فكلما تعمقنا أكثر اكتشفنا أن داخلنا أرحب من خرائط العالم كلها، وأن اتساع الروح لا يضاهيه اتساع.

الرحلة إلى الداخل ليست طريقاً مفروضاً بالطمأنينة، وإنما معرات متعرجة بين ذكريات ثقيلة، وأحلام أجلاها، وأسئلة تنتظر شجاعة الإجابة. لكنها تكشف وجوهنا الحقيقية وتزيح الأفتعة التي اعتدنا ارتداؤها لإرضاء العالم أو لإخفاء ضعفنا ورغباتنا العميقة.

ومع السير بثبات وصبر في هذا السفر، نبدأ برؤية وجوه لم نعرفها فيها. نكتشف أن الألم الذي حسبناه عدوًا كان معلماً صبورًا، وأن الدموع التي حسبناها ضعفاً كانت ماءً طهر الطريق لخطواتنا القادمة. نرى أن الجراح ليست لخطات تشوه سيرتنا، بل علامات ترشدنا نحو ما لم نكن ندركه من قبل.

في أعماقنا مدن لم نزرها بعد، حداثق لم نزرعها، وموسيقى لم نعزفها. وبينما نظن أن الحياة تعطينا معناها من الخارج، نتفاجأ أن المعنى يولد في الداخل: في صبرنا، في امتناننا، في لحظة صفاء نسمح فيها لأنفسنا أن ترى بوضوح. السلام ليس محطة نصل إليها عند انتهاء الطريق، بل رفيق يمشي معنا متى ما أعدنا الإصغاء لنداء أرواحنا. فكلما تعمقنا أكثر اكتشفنا أن داخلنا أرحب من خرائط العالم كلها. إنه عبور لا يحتاج جوازاً ولا تأشيرة، فكل ما يتطلبه هو شجاعة أن تخطو خارج المألوف. وجهة مفتوحة لا تحدّها خرائط، ولا ينسج تفاصيلها سواك.

وفي لحظة صفاء، نفهم أن كل ما لهثنا خلفه في الخارج: الطمأنينة، الحب، الأمان، المعنى... كان يسكننا منذ البداية، ينتظر منا أن نلتفت إليه بوعي وامتنان.

فهل ستمنح نفسك الإذن لتبدأ رحلتك اليوم؟

✍️ شريفة فاضل المالكي